الباب الثاني

مفهوم السلام و العدالة الإجتماعية في الإسلام

الفصل الأول : مفهوم السلام في الإسلام

الفصل الثاني : مفهوم العدالة الإجتماعية في الإسلام

الفصل الثالث : التكافل الإجتماعي في الإسلام

الفصل الأول

مفهوم السلام في الإسلام

التمهيد

السلام مبدأ من المبادئ التى عمق الإسلام جذورها فى نفوس المسلمين ، فأصبح عقيدة لهم وجزء من الكيان الإسلامى الصحيح ، والإسلام والسلام يلتقيان فى توفير الأمن والسكينة لكل الناس ، ومن أسماء الله الحسنى السلام ، وتبدأ التحية من المسلمين لأخوانهم المسلمين بالسلام ولفظها "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ، فقد كانت هذه التحية تحية آدم عليه السلام فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك ، نفر من الملائكة ، جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن [1]. فعندما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكاتبة الملوك والأمراء أمثال نجاشى الحبشة، ومقوقس مصر، وكسرى الفرس وقيصر الروم ، والمنذر حاكم البحرين وغيرهم كان بداية كتابه عليه الصلاة والسلام "بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى ..... سلام على من اتبع الهدى" والرسول عليه الصلاة والسلام هو حامل راية السلام ، لأنه الهادى والبشير والرحمة لهذه الأمة فيقول الله تعالى عن نبيه : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [2] ودليل على أن السلام

---

[1]) صحيح البخاري - 6227

[2]) صحيح البخاري - ٦٢٢٧

هو جزء من خير وثواب يضفيه على المسلم فى قول رسول الله صلى الله عليه والسلام "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام أن السلام تحية أمته ، وأمنا وسلاما لأهل الكتاب فيقول صلى الله عليه وسلم :" السلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا" [3].

ان النظرة الكلية للإسلام عن الحياة تهدينا إلى أنه يعد الحياة الإنسانية وحدة ، و صورة السلام في الاسلام التي تقوم علي تلك النظرة الكلية الاولي تهدينا إلي ان الإسلام يعد البشرية كلها بشرية واحدة ، ويعد الدين كله دينا واحدا، ويعدالمؤمنين كلهم امة واحدة ويعد الإسلام هو الصورة الاخيرة والنهائية لهذا الدين الواحد [4].

تعريف السلام لغة و إصطلاحا :

السلام في اللغة : مأخوذ من مادة سلم ، وهى تعنى السلم ، والسلام ، والسلامة ، والتسليم ، والاستسلام ، والبراءة من كل عيب ، ومعظم بابه في معنى الصحة ، والعافية ، ويكون فيه ما يشذ ، والشاذ عنه قليل ، فالسلامة ان يسلم الإنسان من الآفة والأذي . فالله هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قال الله جل جلاله : "والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط المستقيم"[5]. ومن معناه : المسالمة وهو المصالحة ، وتجنب الحرب . وقيل السلام والسلامة : البرأة ، وتسلم منه : تبرّء ومنه

---

[3]) كتاب الشهاب : ٣٢٤ والحديث شواهد تحسنه

[4]) قطب، سيد، السلام العالمي والإسلام، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١ ص ١٥٠- ١٥١

[5]) القرآن الكريم : سورة يونس، ٢٥

قوله تعالي : "واذا خاطبهم الجهلون قالوا سلاما"[6] اي تسلما وبرأة لا خير بيننا وبينكم ولاشر، والسلام يشمل سلامة العرض والجسم والمال وكل ما يهم الإنسان سلامته [7].

ويقولون : سلام عليكم ، فكانه علامة المسالمة، و انه لا حرب هنالك. و قيل : قالوا سلاما اي : سدادا من القول وقصدا، لا لغو فيه. ومنه قوله عز وجل : "سلام هي حتي مطلع الفجر"[8] اي لا داء فيها ولا يستطيع الشيطان ان يصنع فيها شيئا وقد يكون معنى "السلام" و"التحية" منه قوله تعالي" دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام" [9].

والسلام فى الاصطلاح هو الاستعداد واتخاذ كل الوسائل المادية والمعنوية التى ترهب العدو ، وتمنعه من الإعتداء والمحاربة والقتال الذى يهدد النفس والعقيدة والأوطان.

فالسلام يشمل جميع مناحي الحياة، وامور المسلمين كلها. يشمل الافراد والجماعات والدول والمجتمعات والشعوب والقبائل . فاذا وجد السلام وجدت الطمأنينة والراحة والحرية والمؤدة والمحبة بين الشعوب . واذا وجدت السلام انتفت الحروب والأحقاد والضغاين بين الناس. فالدعوة الي السلام دعوة جميلة الي الناس. ولما كان لفظ الإسلام من التسليم لله والخضوع له فهناك ايضا معناه سلام في النفس وطمانينة في القلب وصفاء في الروح .

---

[6]) القرآن الكريم : سورة الفرقان 63

[7]) حسن، عبد الرحمن جبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق تدبر، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢١٢

[8]) القرآن الكريم : سورة القدر ٥

[9]) القرآن الكريم : سورة يونس١٠

مبادئ السلام و مكانته في الإسلام :

اشترط الإسلام الأولوية لمبدأ السلام فى معاملاته الإنسانية سواء فى حالة السلم أو الحرب؛ فنجد أن الله تعالى أنعم على قريش بالأمن والسلام والطمأنينة، وطالبهم بمقابلة هذا بعبادته وتوحيده ، وتركهم لعبادة الأصنام والأوثان ، وذكرهم تعالى بهذا السلام فى قوله تعالى :

"فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع آمنهم من خوف"[10] وأيضا أقسم ببلدهم الأمين فى قوله تعالى : "والتين والزيتون- وطور سينين- وهذا البلد الأمين"[11] الأمن والأمان جعلهما الله تعالى جزاء للمؤمنين فى الدنيا وذلك لأنهم يقرنون الإيمان بالعمل، فيقول جل وعلا: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولائك لهم الأمن وهم مهتدونَ" [12]. جعل الله تعالى الخوف وانتزاع الأمن من العقوبات التى تحل بالعصاة ، فيقول الله تعالى : " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"[13]. وأن الأمان والسلام من أركان السعادة في الدنيا. فلابد أن يكون السلام منهاجا للمسلم فى معاملاته وضميره، ومع أسرته وباقى أفراد جماعته، ثم ينبغي أن ينتقل بذلك إلى السلام الدولى فكما قال عمرو بن العاص رضى الله عنه لقائد الروم فى معركة أجنادين:

"إننا دعاة سلام وإسلام ، نجاهد من أجل الحق وإعلاء كلمة الله" . أقر الإسلام السلام للمحافظة على العلاقات الإنسانية وبخاصة مع الشعوب والقبائل بكافة أجناسها ، طالما لاتعتدى ولاتتآمر على المسلمين.

---

[10]) القرآن الكريم : سورة قريش ٤-٣

[11]) القرآن الكريم : سورة التين 1-3

[12]) القرآن الكريم : سورة الانعام ٨٢

[13]) القرآن الكريم : سورة النحل ١١٢

وأيضا من مبادئ السلام أن لايخون المسلم ، ويجب عليه الوفاء بالعهود التى تحافظ على السلام والأمن حتى ولو مع أعدائه ولا ينقضه؛ يقول جل وعلا : "واوفوا بعهد الله إذاعاهدتمولا تنقضوا الأيمان يعد توكيدها ود جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون"[14].

ومن مبادئ السلام أيضا عدم امتهان الكرامة الإنسانية ، ولا اعتداء على حقوق الغير ولكن بدون مهانة للمسلم ولا إذلال ، يقول الله تعالى : "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم "[15].

الإسلام كلمة مشتقة من مادة س ل م من باب "إفعال" وهو في اللغة الإنقياد لامر الآمر ونهيه بلا إعتراض؛ الدين الذى جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : وهو خاتم الأديان السابقة وشامل الشرائع الماضية التىأُنزلت على الرسل السابقين عليهم السلام، وهو خاتم الأديان، وهو الدين عند الله تعالى الذى سيقبله من كل عباده. يقول الله تعالى :

"إن الدين عند الله الإسلام"[16].

فالسلام مكانة فى الإسلام والدليل على ذلك أنه اسم من أسماء الله الحسنى : "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون"[17]

---

[14]) القرآن الكريم : سورة النحل ٩١

[15]) القرآن الكريم : سورة محمد ٣٥

[16]) القرآن الكريم : سورة الحشر ٢٣

[17]) القرآن الكريم : سورة الحشر ٢٣

ففي الغاية نحن نجد أن تحقيق السلام يساعد على استقرار المجتمع بكل طوائفه و بكل أفراده مسلمين وغير مسلمين. ونأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا فى تحقيق السلام، والأمن، والطمأنينة فى المدينة المنورة بعد هجرته إليها فأول شيئ فعله صلى الله عليه وسلم أنه عقد ميثاق التحالف الإسلامى، أى عقد المؤاخاة بين المؤمنين (المهاجرين والأنصار) أولا، ثم بين المسلمين وبين اليهود فى المدينة، فكانت لهم دينهم وللمسلمين دينهم؛ وبذلك استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مجتمعا فى المدينة يسوده الأمن والسلام؛ لقد كانت غاية الإسلام أن يجعل العهد فى المدينة عهد استقرار وأمن بعهد الاضطراب والخوف فى مكة؛ وكان الهدف الذى يرمى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيش الجميع فى وطنهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم وأن يكونوا أحرارا فى عقائدهم وآرائهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

فيستفاد من منطلق هذا المبدأ أن المثالية الإسلام يؤيد العدل ويحرم الظلم، بل ويحث على التعاون والرحمة والمودة والمؤاخاة بين الإنسان وأخيه الإنسان ومن خلال هذا الإحترام الإنسانى والعقلى والفكرى، لايكره الإنسان على مايعتقده من عقيدة، أو اعتناقه فكرة من الأفكار، " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...."[18]. ويكون دور رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ رسالة ربه ويكون مبشرا ونذيرا؛ يقول الله تعالى: " يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير – وداعيا إلى الله بإذنه سراجا منيرا "[19].

---

[18]) القرآن الكريم : سورة البقرة، ٢٥٦

[19]) القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، ٤٦- ٤٥

العلاقات الإنسانية فى الإسلام :

اذا تدبّرنا نظام الشريعة في صدد العلاقات المختلفة للإنسانية في الإسلام فوجدنا ان الشريعة الإسلامية قد حددت لها قوانين خاصة لتأسيس العلاقة القوية الراسخة فيما بين الأجناس البشرية وطبقاتهم المختلفة؛ إما أن يكونوا مسلمين أو غير مسلمين؛ فإن كانت مبادئ تلك القوانين تحفظ في المجتمع فتجعل المجتمع يعيش في أمن وسلام وطمانينة؛

والآن نستعرض هذه المبادئ فيما يلي :

(١) العلاقات بين المسلمين بعضهم ببعض :

يقول الله فى كتابه العزيز :

"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعورف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولائك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم "[20].

ويقول صلى الله عليه وسلم : " المسلم أخو المسلم، .....، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"[21] فالرباط بين المسلمين فى الإسلام يجمع قلوبهم، ويجعلهم صفا واحدا وهذا يقيهم عوامل الفرقة والضعف. ووحدة الكيان والصف تلك تحقق رسالة الإسلام فى عبادة الله تعالى وحده لاشريك له، وإعلاء كلمة الإسلام، والجهاد فى سبيل الله تعالى، إن استدعى الأمر ذلك، بهدف استقرار هذه المبادئ واعلاءها، والمبدأ الأول الذى يجمع المسلمين بعضهم ببعض هو(الإيمان) فهو الذى يجعلهم إخوة ويؤلف بين قلوبهم. فقد قال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا. ثم شبك بين أصابعه؛

---

[20]) القرآن الكريم : سورة التوبة ، ٧١

[21]) القرآن الكريم : سورة التوبة ، ٧١

وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ، إذ جاء رجل يسأل ، أو طالب حاجة ، أقبل علينا بوجهه فقال" [22] وأوضح صلى الله عليه وسلم التراحم والتعاطف والمودة بين المؤمنين بعضهم ببعض فى قوله: " ترى المؤمنين: في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى؛ وقد حث الإسلام على الترابط فدعى الله تعالى على روح الجماعة، " فيقول صلى الله عليه وسلم : طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة حتى العبادات فلاتؤدى إلا فى جماعة ، فنرى الصلاة فى جماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " [23]. ويتساوى فى الصيام جميع أفراد. وأيضا الزكاة تعامل بين الغنى والفقير، ورحمة من الغنى على الفقير . يتساوى فى الصيام جميع أفراد المجتمع من غنى وفقير ويكون الجوع والعطش متساو لهم جميعا فى نهار رمضان، وتتضح الجماعة فى وقت الإفطار فكل المسلمين يتناولوا طعام الإفطار فى موعد محدد وهو وقت أذان المغرب؛ وأكثر مثالا يدل على روح الجماعة فى الإسلام وترابط المؤمنين وقت الحج، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الترابط وعدم الفرقة حتى ولو فى المظهر الخارجى لهم، فنهاهم عن الجلوس متفرقين فالفرقة تؤدى إلى الضعف، والضعف يؤدى إلى الهزيمة، والتفكك يؤدى على عدم شعور بالأمان والسلام، ويؤدى الضعف أيضا إلى مهاجمة أعداء الإسلام لديار المسلمين فتذهب السلامة والأمان والطمأنينة، يقول الله تعالى محذرا من الفرقة : " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء هم البينات وا,لئك لهم عزاب عظيم"[24]. ولكن هناك فئة من الممكن أن تضل وتفترق عن روح الجماعة وتكون طائفة باغية من المسلمين، وهذه الطائفة تهدد الأمن والسلام المنشودين لهذا المجتمع، وهى بذلك تهدد استقراره وأمنه، فماذا يحدث إذا بغت هذه الفئة المسلمة ؟ وماذا يفعل المسلمون حيال هذا البغى؟ يقول الله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى

---

[22]) صحيح البخاري ، 6026

[23]) صحيح البخاري ، ٦٣٩٢

[24]) القرآن الكريم : سورة العمران ، ١٠٥

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فأءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين"، فهنا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يصلحوا بينهما بدعوتهما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرضا بحكمهما؛ فإن اعتدت إحدى الطائفتين وأبت الإجابة إلى ذلك، فقاتلوها حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإنصاف، أى وجبت الشريعة الإسلامية قتال الباغى حتى يرجع إلى العدل ويعود إلى جماعة المسلمين، وقد قاتل الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانعى الزكاة.

(2) العلاقة مع الآخر فى ضوء الشريعة الإسلامية

حدد الله تعالى العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم من غير المسلمين على سبيل أنهم خلق الله جميعا، وأنهم شعوبا وقبائل وأساس علاقتهم التعارف فقال الله تعالى فى كتابه : " يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعافوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[25]. وهذه الآية الكريمة توضح أن هذه العلاقة علاقة بر ورحمة وتعاون وعدل الكريم أن نتسم بالعدل مع غير المسلمين ونبرهم ولاتُقطع الصلات الإنسانية معهم؛ يقول الله تعالى : " لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أنتبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "[26] أى : لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين, ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم بالخير، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبرِّكم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم. ولكن علينا أن لانخلط بين المعاملة بالحسنى وتقوية الصلات الإنسانية وبين موالاة الكافرين، والتى تتمثل فى مناصرتهم على المسلمين، والرضى على كفرهم، مشاركتهم فى احتفالات أعيادهم، يقول الله تعالى : "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من

---

[25]) القرآن الكريم : سورة الحجرات ، ١٣

[26]) القرآن الكريم : سورة الممتحنة ، ٨

دون المؤمنين ومن يفعل ذالك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير"[27].

ونهى الله تعالى على اتخاذ غير المسلمين بطانة أو تقوية عدادهم ضد المسلمين ، بل أجاز الله تعالى مقاطعتهم وجعله أمرا دينيا واجبا، ففى الآية الكريمة : "ودوا لو تكفرونكما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا"[28]. فهنا توضح الآية الكريمة أن تمنَّى المنافقون لكم، أيها المؤمنون، لو تنكرون حقيقة ما آمنت به قلوبكم، مثلما أنكروه بقلوبهم، فتكونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصفياء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله أعرضوا عما دعوا إليه، فخذوهم أينما كانوا واقتلوهم؛ ولا تتخذوا منهم وليّاً من دون الله ولا نصيرًا تستنصرونه به، ووصف الله تعالى من يواليهم بالمنافقين برهانًا على صدق إيمانهم, فقال سبحانه وتعالى : "وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما- الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا "[29]. فوصفت هذه الآيات المنافقين بصفات.

(3) الحرية الدينية لغير المسلمين :

اولا : كفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين، وعدم إكراه أحدهم على اعتناق الدين الإسلامى بالقوة ، ماداموا يعيشوا فى ديار المسلمين فى سلام، ولا يتآمروا عليهم، ويدفعون الجزية، ومن مظاهر الكفالة الدينية التى كفلها الإسلام لغير المسلمين. وهذا لقول

---

[27]) القرآن الكريم : سورة العمران ، ٢٨

[28]) القرآن الكريم : سورة النساء ٨٩

[29]) القرآن الكريم : سورة النساء ، ١٣٩- ١٣٨

الله تعالى : "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " [30].

ثانيا : أعطى الإسلام الحق لغير المسلمين فى ممارسة الشعائر الدينية الخاصة بهم، فلا تُهدم لهم كنيسة ، ولايُكسر لهم صليب .فقد ترك صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى فى المدينة على دينهم إلا من آتى بقلب سليم وهداه الله للإسلام .

ثالثا : أباح لهم الإسلام مايحل لهم من طعام ، فلا يقتل لهم خنزير ولا تراق لهم خمر.

رابعا : لهم الحرية التامة فى قضايا الزواج ، والطلاق ... إلخ وفقا لشريعتهم .

خامسا : جعلت لهم الشريعة الإسلامية الحق فى الجدل والمناقشة فى حدود العقل والمنطق ، مع عدم التطاول والسب، فيقول الله تعالى :" ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له المسلمون " [31] وأيضا وصى الإسلام المسلمين باحترام دينهم ولا نتطاول عليهم حتى يسبوا الله ورسوله عن جهالة ، فحذر الله تعالى المسلمين من ذلك فى قوله : " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذالك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون "[32]. بل وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأذى ذميا فيقول عليه الصلاة والسلام : " من آذى ذميا فأنا خصمه " [33].

سادسا: أعطى لهم الإسلام كافة حقوق المسلم ماعدا الميراث فلايرث كافر مسلم ، ولا مسلم كافرا

---

[30]) القرآن الكريم : سورة البقرة ، ٢٥٦

[31]) القرآن الكريم : سورة العنكبوت ، ٤٦

[32]) القرآن الكريم : سورة الأنعام ، ١٠٨

[33]) الزرقاني ، في مختصر المقاصد ، ص ٩٦٠

سابعا: أباح الاسلام زيارتهم ، وعيادة مرضاهم

المعاهدات التى عقدها الرسول عليه الصلاة والسلام مع الكفار وأهل الكتاب :

نحن نعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرإلى المدينة المنورة بعدما أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مكة أصبحت دارا غير آمنة للدعوة الإسلامية وللمسلمين ولا يمكن له ان يؤسس مجتمعا للأمن والسلام وبناء على أمر الله تعالى لنبيه كان لابد له أن يهاجر إلى مجتمع جديد يتواجد فيه الأمن والآمان حتى يتمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بناء مجتمع إسلامي جديد ليكون داعيا نواة للدولة الإسلامية التى ارتضاها الله تعالى لعباده، والتى يدينون فيها بالدين الإسلامى الذى يرتضيه الله تعالى لعباده، فأول شيء من الأمور التي إهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بناء المسجد ولإتمام الصلاح والإصلاح والأمن والأمان في المكان أنذاك.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

والمسجد النبوى الذى هو لم يكن لأداء الصلوات فقط ، ولكن مكانا لتلقى تعاليم الدين الإسلامى. والأمور التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بين المهاجرين والأنصار فنستعرض بعضا منها فيما يلى :

1. أنهم أمة واحدة من دون الناس.
2. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت..

3. وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل.

4. ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

5. وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعهم، ولو كان ولد أحدهم.

6. ولا يَقتل مؤمن مؤمناً في كافر.

7. ولا ينصر كافر على مؤمن.

8. وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

9. وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

10. وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

11. وأن سِلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

12. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

13. وأن المؤمنين يبـيء بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله.

14. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

15. وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

16. وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول.

17. وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

18. وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثناً ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبة يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

19. وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله -عز وجل- وإلى محمد - صلى الله عليه وسلم

لقد استطاع رسول الله -صلى الله عليه وسلمأن يكون مجتمعاً قوياً متماسكاً لا تهزه رياح الحوادث، ولا تزلزله شائعات الكفار والمنافقين، بنى مجتمعاً يضرب به المثل في حسن الأخلاق، والتعاون على البر والتقوى، ومناصرة المظلوم، والقيام لله -تعالى- حق القيام.

أثر هذه المؤاخاة على المجتمع المدنى :

أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأمور قواعد مجتمع جديد يقوم على دعائم الإسلام، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعهد المسلمين بالتعليم، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويعلمهم كيفية عبادة الله تعالى وطاعته.

أزيلت كل أسباب الحقد والحسد التى كانت موجودة فيما بينهم من قبل اتباعا لمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول عليه الصلاة والسلام : " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " [34].

---

[34]) الجامع الصحيح البخاري ١ ص ٢٤٤٢

المعاهدة مع يهود المدينة والقبائل المجاورة :

نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يطمئن نفسه بإقامة بين المؤمنين فحسب في ذالك والوقت ولكن نظم الرسول عليه الصلاة والسلام العلاقة مع غير المسلمين ، بقصد ارساء دعائم الأمن والسلام فى المجتمع . وكانت اليهود تجاور المسلمين من المهاجرين والأنصار فى المدينة ، فكان لابد من عقد معاهدة معهم لإرساء قواعد هذا الأمن والسلام وكانت بنود المعاهدة فيها عدل وإنصاف لليهود وهي :

(١) أن اليهود أمة مع المؤمنين .

(٢) أن بين اليهود والمسلمين النصح والبر .

(٣) إذا حدث خلافا بين اليهود والمسلمين فمراده لله تعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) لاتجارة مع قريش ولا مع من يحالفها

ومن أثر هذه المعاهدة صارت المدينة تحت كلمة الإسلام والمسلمين يعيش أهلها بكافة عقائدهم فى سلام [35].

كانت الأهداف من المعاهدات التى عقدها الرسول عليه الصلاة والسلام فى العام الثانى الهجرى مع القبائل المجاورة للمدينة هى :

(١) اتخاذ صفة المحايدة لتلك القبائل وعدم تعاونها مع المشركين ضد المسلمين،

(٢) تأمين الحدود الخارجية للدولة الإسلامية الجديدة،

(٣) اعتراف هذه القبائل بدولة الإسلام، و

---

[35]) سيراة ابن هشام ، رقم المجلد - ٢ ص ٩٢

(٤) تهيئة هذه القبائل لقبول الإسلام،

صلح الحديبية :

بعد أن أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائم المجتمع الإسلامى فى المدينة ، وأصبحت الظروف لصالح المسلمين بعد انتصارهم على الكفار فى غزوات عدة ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه معتمرين ومحلقين ، فدعى المسلمين للخروج للعمرة فخرجوا معها ، ولكن أبت قريشا أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمرا وبعد مباحثات عدة ذكرتها كتب السيرة تم عقد صلح الحديبية ، وكانت بنوده :

(١) يرجع الرسول عليه الصلاة والسلام من عامه هذا فلا يدخل مكة ، وفى العام القابل يدخلها مع المسلمين ثلاثا ليس معهم سوى سلاح الراكب .

(٢) وضع الحرب بين قريش والمسلمين مدة عشر سنوات .

(٣) من أحب أن يدخل فى عهد محمد دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه .

(٤) من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه – أى هاربا منه – رده محمدا إليهم ، ومن جاء قريشا من عند محمد – أى هاربا منه – لا ترده قريش إليه .

الأثار التى ترتبت على صلح الحديبية

(١) اعترفت قريشا بالمسلمين كقوة ، وأنها لاتستطيع مقاومتهم .

(٢) بدأت زعامة قريش الدينية تتقلص عن البيت الحرام.

(٣) تفرغ الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين للدعوة، فقد كان عدد المسلمون حتى وقت الهدنة ثلاثة ألاف، صار بعد سنين وفى فتح مكة عشرة ألاف.

(٤) البند الرابع فيه مكسب للمسلمين عن قريشا، فمن كان مسلما حقا فلا يفر من الإسلام، ومن يرتد فإن انفصاله عن المجتمع الإسلامى خير من بقائه فيه.

وقد أبعده الله عن المسلمين، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مطول : "إنه من ذهب منا إليهم، فأبعده الله . ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا" [36] فى السنة لسابعة من الهجرة أسلم أبطال قريش : عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة ، وخالد بن الوليد رضى الله عنهم وأرضاهم حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها " فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال : الصديق اعترض الفاروق عمر رضى الله عنه على هذا البند . فأتى أبا بكر وقال رضى الله عنه : ياعمر الزم غرزه فإنى أشهد أنه رسول الله [37]. بدأت فى سنى المعاهدة أن تركز النشاط فى الدعوة ومكاتبة الملوك والأمراء فكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وكسرى ملك الفرس، وقيصر الروم، وصاحب اليمامة، وصاحب دمشق، وملك عمان. وبدأ ايضا النشاط العسكرى وتكوين الجيش الإسلامى الذى كانت نتيجته فتح مكة.

المعاهدات أثناء الخلافة الراشدة :

والآن سنحاول كيف كان الإهتمام لتقرير السلام في المجتمع في اثناء الخلافة الراشدة بمعناه الحقيقي؛ فبهذا الخصوص نحن نجد رسالة خالد بن وليد رضى الله عنه لأهل الحيرة في دور الخليفة الأول، وهى :

"بسم الله الرحمن الرحيم : إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمرنى أن أسير بعد منتصر فى أهل اليمامة إلى أهل العراق من العرب والعجم، بان أدعوهم إلى الله جل ثناؤه، وإلى رسول رسول الله عليه الصلاة

---

[36]) صحيح مسلم ١ ص ١٧٨٤

[37]) سيرة ابن هشام ، رقم المجلد - ٣ ١ ص ٢٦١

والسلام، ابشرهم بالجنة وأنذرهم من النار، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعلى المسلمين" فقد دعا بامر الخليفة خالد بن الوليد أهل الحيرة إلى دعوة الله ورسوله، ولكن طلبوا منه أن يصالحهم على ماصالح غيرهم من أهل الكتاب فى إعطاء الجزية، فصالحهم على ستين ألفا يدفعون الجزية، واشترط عليهم :

(١) أن لايعينوا كافرا على مسلم من العرب أو العجم ،

(٢) وأن لايدلوهم على عورات المسلمين،

(٣) وإن حافظوا على هذا العهد والميثاق، فلهم ما للمعاهد، وعلى المسلمين المنع لهم، وإن خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمان،

(٤) وعلى المسلمين مساعدة الفقراء والشيوخ منهم، وعليهم أيضا نفقتهم ونفقة عيالهم ماداموا فى دار الإسلام،

(٥) ولهم كل ما لبسوا من الزى إلا زى الحرب،

وكذالك نجد تعليمات عامة في صدد إثبات السلام في المجتمع أثناء الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ فإنه أرشد للمجاهدين :لاتغلوا، ولاتغدروا، ولاتمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، واتقوا الله فى الفلاحين الذين لاينصبون لكم الحرب، ولاتفرقوا بين الأخوين، ولا بين الأم وولدها كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص حين فتح العراق [38] وفيه وصية لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :

(١) ينظر ما أجلب الناس عليه إلى العسكر من كراع ومال ، فيقسمه بين من حضر من المسلمين

(٢) يترك الأرضين والأنهار لعمالها

---

[38]) ابن الجوزي ، تاريخ عمر الخطاب ١ ص ٦٩

(٣) يدعو من لقيه إلى الإسلام قبل القتال ، فإن قبل منهم أحدا الإسلام فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام .

معاهدة مع أهل النوبة : نصها : عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ، عهد عقدهعلى الكبير والصغير من أهل النوبة أن جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين . وأن معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله، أن لايحاربوهم ولا يغزوهم مادامت الشرائط بينهم .

الفصل الثاني

مفهوم العدالة الإجتماعية في الإسلام

التمهيد

ويعد العدل في الضوء القرآنية محورا لكل شيء، وعليه ترتكز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبنء المجتمع، وحمظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية. والعدل لا يقتصر على جانب دون آخر؛ بل هو مطلوب في كل المجالات والحقول ، إذ يجب أن يعم العدل في كل شيئ، في السياسة والإقتصاد والإجتماع والثقافة والتربية والحقوق، وبدونه لا يمكن أن ينعم المجتمع بالسعادة والأمن والإستقرار ومما يدل على أهمية العدل في القرآن والأحاديث النبوية. وإذا دققنا النظر في القرآن وجدناه يدور حول محور واحد وهو العدل من كل الأفكار القرآنية، من التوحيد إلى المعاد، ومن النبوة إلى الإمامة والزعامة، ومن الآمال الفردية إلى الأهداف الإجتماعية. فالعدل في القرآني قرين التوحيد، وركن المعاد، وهدف التشريع النبوة، وفلسفة الزعامة والإمامة، ومعيار كمال الفرد، ومقياس سلامة المجتمع، والعدل القرآني عندما يتعلق بالتوحيد أو المعاد فإنه يعطي معنى خاصا لنظرة الإنسان إلى الوجود والعالم. وبعبارة أخرى : يعد مجال للعقل بعد الكتب والسنة ليكون منبعا للفقه والإستنباط. وأما في الموارد التى يتعلق فيها بالإمامة والقيادة فانه نوعا من اللياقة، وفي الموارد الأخلاقية يعتبر أملا إنسانيا في المجلات الإجتماعية مسؤولية. ولأهمية العدل في الحياة الناس؛ فإن أهم هدف لبعث الأنبياء والرسل بعد تعريف الناس

بالخالق جل وعلا هو بسط العدل بينهم، قال الله تعالى : "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"[39].

مفهوم العدل في الإسلام :

لقد أرسي الإسلام المعني الحقيقي للعدل في جوانبه الثلاثة. وهي إعطاء كل ذي حق حقه ـ إن خيرا فخير. وإن شر فشر. ودون أي تمييز، وبذالك تختفي الحالات الكريهة دلتي تظهر لغياب العدل في المجتمعات ، وهذه الجوانب هي دوائر متداخلة فلا يصح إعطاء كل ذي حق حقه في الخير فقط . وليس في العقاب ملاحقة الجناة المخربين. ولا يمكن تحقيق مبدأ إن خيرا فخير وإن شر فشر، بترك الكبير والشريف وتطبيقة فقط علي الضعيف والمقهور والعاجز . كما قال رسول الله صلي الله عليه والسلم : "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف قاموا عليه الحد" وبهذا المفهوم وعلى مر الزمان جاء الأنبياء والرسول يدفعون الظلم عن الناس ويمنعون ضرره وينشرون العدل . فاول جريمة على الأرض واول معصية في الوجود. وأودت بحياة أول إنسان برئ على الأرض.

والعدل المطلق هو الذي إستأثر الله تعالي فلا يفلت الظالم من عقاب جرائمه وإن أفلت منها في الدنيا . فان الله يمهل ولايهمل . وكذالك فالعادل لا يحرم من أجره شئ والذي أعد الله له جزاء تحمله ولقاء صبره، لقوله تعالي :

"ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين"[40] بل ذكر الميزان للحكم في الدنيا في قصة ذي

---

[39]) سورة الحديد من الآية ـ ٢٥

[40]) سورة الأنبياء - 47

القرنين. "أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ـ وأما من أمن وعمل صالحا فله جزاء الحسني وسنقول له من أمرنا يسرا [41].

العدل سبب سعادة الإنسان في الحياة :

فما أحوج الإنسان إلي أن ينعم بالعدل في الحياة ـ سواء كان في علاقته مع نفسه أو مع ربه أو مع الناس ، فعلي مستوي نفسه : هو يوازن بين العقل والغضب والشهوة سواء كان العدل ذاتيا نابغا من كيانه او أثرا من الخارج كعلم معرفة او إدراك أو إقتداء و تتجلي صور العدل مع نفسه في عدة صور مثل : العدل بين الجسد والروح . والعدل بين العقل والفكر ، والعدل بين العمل والكسل ـ والعدل في الأخذ والإعطاء. وعلي مستوي الناس بالعدل في الحقوق والواجبات ، وفي البيع والشراء ، والحكم والقضاء. وفي الشهادة والأمانات ـ وفي المنع والعطاء ايا كانت مسؤليته في الحياة . طلبا لرضاء الله عز وجل ، وأجره وثوابه . وبذالك فالعدل هو مفتاح إستقرار وإطمئنان المجتمعات وحافز على العمل والإنتاج. ومصدر لنماء عمران وكثرة الخيرات والارزاق ـ وزرع الثقة بين أفراد الوطن الواحد يقول إبن خلدون:

"إعلم أن العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها ـ لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتها بها بين أيديهم ـ وعلي قدر الإعداء ونسبته يكون إنقباض الرعايا عن السعي في الإكتساب والعمران" ولذالك فالبديل في المجتمع ـ اذا إختفى العدل ـ المشاهنات والغوضي والإضطراب مثل : غضبة الشعوب المحتلة ـ ضد محتليها أو ثورة الشعوب لرفع الظلم الواقع عليها من حكامها بالفلاء والبطالة والسرقات والإضطهاد" [42].

---

[41]) سورة الكهف ٨٧ ـ ٨٨

[42]) "العدالة في الإسلام" : من ويكيبيديا الموسوغة الحرة.

وعلى العكس، ففي ظلال العدل عاشت شعوب الأرض تنعم بثماره ـ التي أعلنها مندوب الغرب للفاروق عمر : "عدلت فأمنت فنمت يا عمر" وها هو عمر الحاكم العادل بينما كان يمر ليلا علي عادته ليتفقد أحوال الرعية فرأي رجلا وإمرأة علي فاحشة فجمع الناس وخطب فيهم : ما قولكم أيها الناس في رجل وإمرأة. رأهما أمير المؤمنين علي فاحشة ـ فرد علي بن أبي طالب : يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد القذف شانه شان سائر المسلمين . ثم تلا قوله تعالي : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوا ثمانية جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون؛[43] فتوقف عمر عن ذكرهما لعجزه عن الشهود .

وما قصة درع الخليفة على بن أبي طالب مع النصراني الذي إختصمه عند شريح القاضي ـ الذي قضي بالدرع للنصراني ، الذي إنصرف ثم عاد بعد عدة خطوات يقول :" اما أني أشهد أن هذه أحكام أنبياء ـ أمير المؤمنون يدنيني إلي قاضيه فيقضي لي عليه ـ الدرع درعك يا أميرالمؤمنين" .

ان البشرية اليوم في حاجة لترى من أمتنا هذا العدل واقفا تراه كما لمسته بالأمس وما ذالك بالصعب عليها والرسول صلي الله عليه وسلم يبشرها بجزاء العادلين : عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : "إن المقسطين عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن ـ كلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" واذا كان الموت آت فليحذر كل حاكم أن يكون غاشا لرعيته لقوله صلي الله عليه وسلم : "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم تموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" [44].

إمتدح المؤمنين الصادقين المفلحين بأنهم لأمانتهم وعهدهم راعون ـ كما امر تبارك وتعالي بالعدل والإحسان فقال الله تعالي : "إن الله يأمر باالعدل والإحسان وإيتاء ذي

---

[43]) سورة النور :4

[44]) متفق عليه

القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"[45] إن الله سبحانه تعالي يأمر عباده في هذه الاية من القرآن بالعدل والإنصاف في حقه ويأمر بالإحسان في حقه بعباده وأداء فرائضه على الوجه المشروع ـ وإلى الخلق في الأقوال والأفعال ويأمر باعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وينهي عن كل ما قبح قولا وعملا وعما ينكره الشرع ولا يرضان من الكفر والمعاصي وعن ظلم الناس والتعدي عليهم ـ

ان الله تعالي أمر بالعدل في معاملة المخالفين ـ وان كان لنا أعداء : قال الله تعالي : "يا يها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم علي ألاتعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون" [46]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية : يعني بذالك ثناؤه يا ايها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكون من أخلاقهم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في اوليائكم وأعدائكم ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم ـ ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولا يتهم لكم ـ ولكن إنتهوا في جميعهم . إلى حدي واعملوا فيه بأمري [47].

وقال الفخر الرازي :

" والمعني انه لا يحملنكم بغض قوم على ان تجورها عليهم ـ وتجاوزوا الحد فيهم ـ بل إعدلوا فيهم ـ وإن أساءوا إليكم ـ وأحسنوا إليهم وان بالغوا في ايحاشكم ـ ومعناه أمر

---

[45]) سورة النحل

[46]) سورة المائده ـ 8

[47]) تفسير ابن جرير

الله تعالي إلي جميع الخلق بان يعاملوا أحدا الا علي سبيل العدل والإنصاف ـ وترك الميل والظلم [48].

وقد تعلم أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم منه مبادئ العدل والقسط ـ وطبقوا ذالك في حياتهم حتي ما أعدائم . ولنتأمل هذه القصة التي وقعت في عهده من بعض صحابته قال جابر ابن عبد الله '' أفاء الله عز وجلّ خبير على رسول الله صلي الله عليه وسلم كما كانوا وجعلها بينه وبينهم ـ فبعث عبد الله بن رواحة ـ فخرصها عليهم الخرص تقدير حق المسلمين من تمر خير ثم قال لهم '' يا معشر اليهود انتم أبغض الخلق إلى قتلتم أنبياء الله وكذبتم على الله وليس يحملني بغضي اياكم على ان أحيف عليكم ـ قد خرصت عشرين الف وسق من تمر فان شئتم فلكم وان أبيتم فلي '' فقالوا بهذه قامت السماوات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا [49].

وهذه الشهادة من اليهود بحكم المسلمين بالعدل وعبد الله بن رواحة مع بغضه لليهود تحري الحق والعدل معهم وهذا من الإنصاف مع المخالف.

مفهوم العدالة الإجتماعية في الإسلام:

توجد تعاريف عديدة لمفهوم العدالة الإجتماعية، وتختلف هذه التعاريف بإختلاف أصحابها، فعلماء الأخلاق ينظرون إليها بوصفها خصلة أخلاقية تحفز على إحترام حقوق الآخرين، وعلماء القانون يعرفون العدالة بسيادة القانون، وعلماء الفقه ينظرون للعدالة بوصفها شرطا لصحة مجموعة من الأعمال كإشتراطها في إمام الجماعة، ولشهادة في عدة مواضع، وفي القاضى، وفي الفقه المقلد وغيرها، وعلماء الإجتماع يركزون على أنه لا إستقرار إجتماعى دون سيادة العدالة، وعلماء الفلسفة يرون أن فلسفة الوجود قائم على

---

[48]) تفسير الرازي

[49]) مسند أحمد

العدالة وهكذا يربط علماء كل حقل من حقول المعرفة الإنسانية العدالة بمجالهم الخاص بهم. والصحيح أن العدالة تشمل كل ذالك وأكثر؛ فالعدالة هى محور كل شيء في حياتنا.

ويمكننا ان تعرف مفهوم العدالة الإجتماعية، فحسب الرؤية القرآنية، بانها : رعاية الحقوق للمجتمع والأفراد، وأعطاء كل فرد من أفراد المجتمع ما يستحقه من حقوق وإستحقاقات، والتوزيع العادل للثروات بين الناس، والمساواة في الفرص، توفير الحاجات الرئيسة بشكل عادل، وإحترام حقوق الإنسان المعنوية والمادية.

معني العدل لغة واصطلاحا:

معني العدل لغة

العدل لغة ضدّ الظلم والجور. وهو القصد في الأمور والأمر المتوسط والإستقامة، من عَدَلَ ـ يَعْدِلُ ، فهو عادل، يقال عدل السهم اي قومه وعدل فلانا بفلان اي سوّى بينهما.

معني العدل اصطلاحا :

معنى العدل في الإصطلاح 'وضع الأمور في مواضعها' ولهذا المفهوم الواسع مصاديق كثيرة من جملتها : الإعتدال ورعاية المساواة ونفي كل أنواع التمييز ورعاية الحقوق والإستحقاقات وأخيرا العدالة بمعنى التزكية والتطهير. والعدل يمعنى العدالة يشتمل الحكم والقضى والتشريع القوانين والمساواة في مجال الحقوق وعدم الإعتداء على حقوق الآخرين، ووضع كل شيء في موضعه المناسب له.

الإجتماع :

قد بدأ الإجتماع من بعثة آدم وحواء من الجنة إلى الدنيا. وأقامت أبناءهما في المواضع المخلفة في العالم. فتغير إجتماع الناس في الأزمنة المختلفة بالحوادث المتعدة. فنعرفه ونبين طبقاته ثم نلخص صورة الإجتماع الإسلامي ببيان خصائص الإجتماع

الإسلامي وحاجته. معنى الإجتماع رفاقة أو زمالة؛ التي تصدر من لغة الرومانية أي الإختلاط بالناس، كما أشار جارج سيميل إلى هذا عنصر الإختلاط الذي معرّف الحقيقي الروحي للمجتمع. هذا المفهوم يشيرأن الإنسان يتساكن دائيما بعضهم بعضا. قيل أن الإنسان حيوان إجتماعي كما يحسب أرسطو. لا يسكن الإنسان واحدا في المدن، والقرى، والقبائل. يحتاج للناس إجتماعا لمبسوط الحياة وأعماله ومعاشه. يقدم الإجتماع والحياة الإنسانية سوية دائمة. حدد العلماء المختلفة معطيين معاينتهم في هذا المجال. ربما نذكرها كما يلى:

على حد تعبير مورس جينس بارغ ــ

"الإجتماع هو مجموع الأفراد متحدا بالعلاقات الواثقة أو طراز السلوك الذي رسمهم من الآخرين الذين لا يدخلون إلى هذه العلاقات أو الذين المحاذفون منهم في السلوك".

وعلى حد تعبير جي. دي. ايم. كول ـ

" الإجتماع مجمع المنظمات الجامعات والمعاهدات بالمجتمع"

وعلى حد قول الأستاذ جيدينغس ـ

" الإجتماع متحد نفسه، والمنظمات مبلغ من رسمي العلاقات حيث يركب الأفراد مكتوفا"

وعلى حد تعبير ليبيرى:

"لا يشير المصطلح الإجتماع إلى جماعة الناس فقط، ولكن إلى تركيب النموذج المثالي المتعامل الذي ظهر بينهم".

وعلى حد قول ميكلور:

"الإجتماع نسيج العنكبوت للعلاقة الإجتماعية"

انقسم الإجتماع على ستة أقسام عامة وهى :

1. الإجتماع البدائي
2. الإجتماع الريفي
3. الإجتماع البستاني
4. الإجتماع الزراعي
5. الإجتماع الصناعي
6. الإجتماع ما بعد الصناعي

الآن نذكر كل قسم مختصرا كما يلي :

1. **الإجتماع البدائي** : هذا الإجتماع أقدم وأسهل طراز الإجتماع . وكان هذا الإجتماع إعتمد معاشهم على صيد الحيوان وجمع الأطعمة ونشأتهم وتنشأ بصورة الفواكه والخضروات طبيعية قبل ألفين سنة. في الحاضر العالم يوجد هذا الإجتماع بأرندا في صحراء الأسترليا المركزية وبوشمين أفريقة الجنوبية.
2. **الإجتماع الريفي** : كان هذا الإجتماع يعيش معتمدا على تمدن المغارس والحيوان. ويوجد هذا في الشرق الأوسط مثل في "بختيارى" بـإيران الغرب حاليا.
3. **الإجتماع البستاني** : كان هذا الإجتماع إبتدأ في الشرق الأوسط اولا قبل أربعة آلاف من الميلاد المسيحية. وإنتشر بعده إلى الصين وأوربا. ساكن السهل في شاطئ النهر وشيل الطريق البحري ومصادر المياه وأخضب الأرض وتطبيع الحيوان والتجارة كانت من خصائص هذا الإجتماع.
4. **الإجتماع الزراعي** : إبتدأ الإجتماع الزراعي قبل ستة ألاف سنة قائدا إختراعا حرث الأرض. أنشأ سكان هذا الإجتماع أولا في مصر القديمة وأضات من هنا شكل التكوين الأولية على الفلاحة والزراعة والميدان الكبير.

5. **الإجتماع الصناعي** : أكثر سكان لهذا الإجتماع بدون الزراعة مثل الوحدات الأعمال الصنعي وقطاع الوظفيين ومهمة الألوان الأزرق والأبيض.
6. **الإجتماع ما بعد الصناعي** : ومعاش جميع سكان هذا الإجتماع معتمد على الوظيفة في الصناعي أو قطاع الإستخدامات. ويوجد سكان هذا الإجتماع في الدول النامية حاليا مثل الولايات المتحدة الأمريكة وفرنسا وجمهورية ألمانيا الديموقراطية والصين واليبان وهلم جرا[50].

الإجتماع الإسلامي :

إذا أمعنا النظر غلى التعريفات التي ذكرها علماء الإجتماع لم نجد أيا منها صالحا للدلالة على المجتمع المسلم، لأن المجتمع المسلم لم يظهر بسبب حوادث معينة، ظروف تاريخية، كالمجتمعات الغربية والشرقية اليوم، الذي يكون الفرد فيها مجرد آلة في مجتمع آلي، خال من الإيمان والقيم فضائل الربانية التي تبرز قيمة الإنسان كإنسان، بل أصبحت المادة هي المنطق الأساسي في هذه المجتمعات والمور الذي تقوم عليه الحياة.

ولقد وضع بعض الباحثين المسلمين تعريفات للمجتمع المسلم ينسجم مع مبادي وقواعد الشريعة الإسلامية وبما ينسجم مع الواقع. الإجتماع المسلم هو ذاك الإجتماع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاص، وقانونه القرآنية وأفراد الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا الإجتماع وأن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة. ومن خلا هذا التعريف يتضح لنا أن المجتمع الإسلامي مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه، واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فليس من الضروري إذا أن تكون هناك أرض معينة لها

---

[50] Principles of Sociology with an Introduction to social Thought, by C. N. Shankar Rao, S. Chand & Company Ltd., Ram Nagar New Delhi, P.766- 777, 2012.

المجتمع، وليس من الضروري أن يعيش أفراده معا لفترة طويلة، وأهدافهم ومصالحهم ليست مشتركة، بل هي واحدة ، يحترمون العرف والتقليد والقيم الإجتماعية ويضعون الوحى والسنة والإجتهادوأحكام الدين ليرتبوا نظامه الإجتماعي.

أما الصلات التي تربط بين أفراد هذا الإجتماع على تباعد الديار وتنائ الأوطان، فهى صلات وثيقة محكمة، ويشعر بها واضحا كل من إستمسك بعقيدة المجتمع الإسلامي وذاق حلاوة الإيمان ، يعد معاني الإخوة الإسلامية، ولا يتنكر لهذه المعاني إلا أولئك الذين حرموا حلاوة الإيمان وفقدوا مع العقيدة [51].

الآن نحن نذكر بعض من المميزات الهامة للمجتمع الإسلامي التي وردت من القرآن الكريم والأحاديث النبوية كما يلي:

1. الأمر بالمعروف
2. النهي عن المنكر
3. الإيمان بالله
4. الأصل على الإعتدال والإجتماع الإسلامي أمة الإعتدال
5. الإعتبار أن هذه أمة واحدة
6. الأساس على مفهوم الشورى
7. مفهوم جعل الإخوة بين المسلمين
8. مفهوم جعل التقوى
9. أن تكون أمة الإسلامية أمة عالمية وتكون فكره عالمية
10. مظهرة العبادات اليومية والأسبوعية والسنوية كصلوات الخمسة ويوم الجمعة ويوم العيدين والحج إلى المكة المكرمة .
11. تكافل الأفراد والأمة

---

[51]) أحمد بن على بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببيروت، 1379هـ.

12. مفهوم تعيين القائد
13. مفهوم الجهاد أي ثورة خلاف الباطل

أهمية العدل :

وردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تأمر بالعدل وترغب فيه وتمدح من يقوم به؛ أرسل الله رسله وأنزل معهم ميزان العدل، ليقوم الناس بالقسط قال تعالى : "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" .

وقال الله تعالي : "ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ويعظكم لعلكم تذكرون"[52]

فالعدل الذي امر الله به، يشمل العدل في حقه؛ وفي حق عباده فالعدل في ذالك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته، سواء في ذالك ولاية الإمامة الكبري، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلي لسان رسوله، وامرهم في سلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بايفاء جميع ما عليك ، فلا تبخس لهم حقا، ولاتغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب.

وقال عز من قائل : "يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اوالوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا وان تلووا او تعرضروا فان الله كان بما تعملون خبير" [53]

---

[52]) سورة النحل ، ٩٠

[53]) سورة النساء ، ص: ١٣٥

فنجد أن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط وهو العدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا، ولا تأخدهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف، بل يجب لهم ان يكونوا متعاونين متناصرين فيه ؛ ولكن توطيد العدل وأدائه في المجتمع لإبتغاء وجه اللع تعالى فحينئد يكون حقا حاليا من التحريف والتبديل والكتمان، وقال سيد أن هنا يحاول المنهج تجنيد النفس في وجه ذاتها، وفي وجه عواطفها ، تجاه ذاتها أولا، وتجاه الوالدين والأقربين ثانيا- وهي محاولة شاقة - أشق كثيرا من نطقها باللسان - ثم هو يجند النفس كذالك في وجه مشاعرها الفطرية او الإجتماعية ، حين يكون المشهود له او عليه فقيرا ، تشفق النفس من شهادة الحق ضده وتود أن تشهد له معاونة لضعفه او من يكون فقره مدعاة للشهادة ضده بحكم الرواسب النفسية الإجتماعية كما هو الحلال في المجتمعات الجاهلية وحين يكون المشهود له او عليه غنيا تقتضي الأوضاع الإجتماعية مجاملته او قد يثير غناه وتبطره النفس ضده فتحاول ان تشهد ضده - وهي مشاعر فطرية او مقتضيات اجتماعية لها ثقلها حين يواجهها الناس في عالم الواقع والمنهج يجند النفس تجاهها كذالك كما جندها تجاه حب الذات ، وحب الوالدين والأقربين .

نظرية سيد قطب في العدالة الإجتماعية في الإسلام:

في هذا الإتجاه نجد نظريات سيد قطب في مؤلفاته العديدة، منها " العدالة الإجتماعية في الإسلام" قد أظهر سيد نظرته القيمة في هذا الكتاب نذكره هناك عنها الشمولية للمسألة الإجتماعية. وهى ضرورة المجتمع في الإسلام، طبيعة العدالة الإجتماعية في الإسلام، أسس العدالة الإجتماعية في الإسلام، الحرية، التكافل، وسائل العدالة الإجتماعية في الإسلام، عدالة الحكم، عدالة المال، من الواقع التاريخي في الإسلام، حاضر الإسلام و مستقبله.

فميّز أولا بين المجتمع المسلم و بين المجتمع النصراني واليهودي، فإذا كان المجتمع اليهودي متجردا لا روحانية فيه وإذا كان المجتمع النصراني منشطرا إلى روحانية ورهبانية ونظام قانوني وضعي، بينهما علاقة إنفصال وإتصال، فإن المجتمع الإسلامي لم يكن رهينة إمبراطورية أو ملك، بل نشأ مستقلا بروحانية وبسلوكه

ومعاملاته، جامعا بين الدعوة والدولة، بين الضمير الفرد وواقع الجماعة لا يتعدد جوهره الموحد، وإن ختلفت مظاهره ومسالكه [54].

وعن مجتمعية الإسلام يقول رحمه الله:

" ولن يستقيم هذا الدين في عزلة عن المجتمع، ولن يكون أهله مسلمين، وهم لا يحكمونه في نظامه الإجتماعي والقانوني والمالي، ولن يكون مجتمعهم إسلاميا، وأحكم الإسلام وشرائعه منفية من قوانينهم ونظمهم" [55].

وفي هذا الإتجاه يصوّر رحمه الله جملة من الآيات والأحاديث، كقوله صلى الله عليه وسلم:

" الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار"[56]

الصلاة، الصوم، العمل، العلاج الخيري لها... إتجاه واحد... ولا عزلة بين المجتمعي والديني كما هو الشان عند الغرب. والسلطة في الإسلام مستمدة من مرتكزين إثنينهما: الأول الجماعة الإسلامية والثاني أحكام الشرعية في حياة النسا، وخارج هذه الشرعية فلا شرعية للسلطة إلا أنه في تاريخنا يقول سيد قطب، وقع إن استعمل الدين لتخدير الناس... وإن لم يكن سبب لتنحية الإسلام عن المجتمع لأن الإسلام يفرض قواعد العدالة الإجتماعية، ويضمن حقوق الفقراء في أموال الأغنياء، ويضع للحكم وللمال سياسة

---

[54]) قطب. سيد : العدالة الإجتماعية في الإسلام، ص- 11

[55]) المرجع السابق: ص- 12

[56]) رواه شيخان

عادلة، ولا يحتاج لتخدير المشاعر، ولا دعوة الناس لترك حقوقهم على الأرض، "ومن قتل دون مظلمة فهو شهيد" [57].

ثم أوضح عن طبيعة العدالة الإجتماعية في الإسلام فلا يمكن إدراكها إلا ضمن التصور العام للإسلام حول الكون والألوهية والحياة والإنسان، وبإعتبار أن الإسلام يمثل تصور شاملا متكاملا يعالج مختلف مجالات الحياة. فنشاهد هناك للعدالة الإجتماعية ركيزتان الأول ركيزة الوحدة المطلقة المتناسقة بين مقومات الإسلام. والثاني ركيزة التكافل العام بين الأفراد والجماعات.

ثم حصر سيد قطب على نظرية أسس العدالة الإجتماعية في الإسلام في ثلاثة.

(1)الحرية : التحرر الوجداني المطلق (2) المساواة : المساواة الإنسانية الكاملة (3) التكافل الإجتماعي الوثيق

وهكاذا أبرز بيانه على وسائل العدالة الإجتماعية في الإسلام. وجمع هناك وسائل عديدة منها : سياسة الحكم لما كانت العدالة في الإسلام تقوم على ركيزتين : الأول التكليف القانوني داخل المجتمع والثاني الضمير البشري داخل الفرد فهى عدالة شاملة، وتتطلب وسائل من نفس الطبيعة أي : وازع فردى الرحمة ، الصدقة، التسامح، العطف، الإيثار. ووازع السلطة التشريعية : الأحكام القانونية والتنفيذ الحكومي.

وافقا لسيد قطب يقوم النظام الإسلام على فكرتين أساسيتين هما-

1. اوحدة الإنسانية : في الجنس والطبيعة والنشاة والمساواة المطلقة بين جميع بنى الإسلام
2. عالمية الإسلام : هو النظام العالمي العام الذى لا يقبل الله من أحد نظاما غيره.

---

[57]) رواه النسائ، ص- 17

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ارسل إلى الناس كافة ... لكن ذالك لا يعنى اكراههمعلى الدخول في الإسلام بل هم أحرار والحكم الإسلامي . يضمن بالجمع للجميع المساواة المطلقة والتكافل التام، مسلمين أو غير مسلمين [58].

فلذالك سيد ينطق من قاعدتين أساسيتين هما: قاعدة الحاكمية – الحاكمية لله وحده من الخلق والمشيئة والمنهج والتشريع. و قاعدة العدل : أي على الحكام ان يحكموا بعدل الإسلام.

وسيلة الثانية : سياسة المال – تقوم سيسة المال في الإسلام على تحقيق العبودية وحده، وذالك بالخضوع لشرعه حتى تتحقق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وذالك بإعتماد وسيلتين اثنتين قيوم عليهما الإسلام في تحقيق أهدافه جميعا هما :

1. التشريع : أي التشريع المالي الذي يرمي إلى تحقيق المجتمع الصالح.
2. التوجيه : أي توجيه التداول المالي لتطوير الحياة البشرية إلى الأحسن.

ويخلص سيد قطب رحمه الله إلى أن سياسة المال في الإسلام تقوم على قاعدتين هما :

1. قاعدة الإستخلاف : المال مال الله، والناس مستخلفون فيه بشرط حفظ شريعة الله فيه، وكل تجاوز للشرط نقض للإستخلاف.
2. وقاعدة التملك المشروط: للفرد حق التملك والإستثمار بشرط الخضوع للشرع وبشرط التكافل الجماعي.

ثم آتى سيد قطب بصورة من الواقع التاريخي في الإسلام. فاظهر هناك النماذج البارعة في تاريخنا التي لا تدع مجلا لشك في أن الإسلام هو النظام الأليق والأصدق والأمثل لحياة البشر. وأكبر نموذج هو الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الحكماء ثم

---

[58]) المرجع السابق: ص- 80

بقي الصحابة خاصة أبوبكر وعمر رضي الله عنهما ثم عمر بن عبد العزيز والعديد من التابعين العاملين أجمعين.

الفصل الثالث

التكافل الإجتماعى في الإسلام

التكافل في اللغة التضامن وتعريف التكافل الإجتماعي أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا افرادا او جماعات ، جكاما او محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية كرعاية اليتيم . او سلبية كتحريم الإحتكار ، يدافع من شعور وجدانى عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة ، وتعيش الجماعة بموازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون او لأيجاد المجتمع الأفل ودفع الضرر عن أفراده .

ومفهوم العام لمعنى التكافل أن نظام التكافل الإجتماعى فى الإسلام قاصر على ضمان الأمور الضروريا‌ة والحيوية بالنسبة للفرد والجماعة ـ ومرتكز على جوانب معينة من البر والإحسان والصدقة لفئات الفقراء والمحتاجين والعاجزين . ولكن الحيقة التى لا جدال معها أن مبهوم التكافل في الإسلام هو أشمل لما يتصوره البعض فهو يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره ، وتكوين شخصيته ، وسلوكه الإجتماعى . ويشمل إتباط الأسرة وتنظيمها وتكافلها . ويشمل تنظيم العلاقلات الإجتماعية كربظ الفرد بالدولة ، وربط الدولة بالجماعة ، وربط الأسرة بذوى القروبات ، وربط الناس بعضهم ببعض . و يشمل تنظيم المعاملات المالية . والعلاقات الإقتصادية ، والضوابط الخلقية . ويمكن أن نقول باختصار : ان نظام التكافل في الإسلام يكاد يحتوى التشريع الإسلامى كله لأن غاية التكافل هو إصلاح أحوال الناس ، وأن يعيشوا في الحياة آمنين مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم والأموالهم وأعراضهم . وأن تتحقق لهم ضمانات الإستقرار والسلام . وأسباب العيش الهانئ الأفضل .

السعادة فى الإسلام :

السعادة هى أن يكون الإنسان صحيح العقيدة مستقيم الخلق ، قوى الجسم ، مستنير العقل ، سليم العرض ، مصون الكرامة، هانئ العيش ، موفقا بين حاجات الروح وحاجات الجسم . مؤديا كل ذى حق حقه ، فالذى تتوفرفيه هذه الصفات يكون قد ملك السعادة من أطرافها ، ووصل إلى غلية الكمال ، لانه من المسلم به لدى علماء الإسلام أن مقاصد الشريعة الإسلامية خمسة : حفظ الدين ،و حفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ المال ، حفظ العرض ، وقالوا : إن جميع ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، يرمى إلى تحقيق تلك المقاصد ويضع الضمانات الكافية لحفظها وحمايتها .

المال وسيلة من وسائل السعادة :

نجد أن الإسلام إهتم الإهتمام الأكبر بوضع الحلول الإقتصادية. وسن النظم المالية حتى يعيش الناس في كل زمان ومكان فى تكافل العيش، وكرامة الحياة وبدأ علاج المشكلة افهام الناس ونظرهم إلى المال ، فالإسلام لا يرى المال غاية مقصودة ، وهدفا منشودا يقبل طلابه على جمعه من أى طريق كان سواء أكان مشروعا ام غير مشروع ، وسواء أضر بالمصلحة العامة ام لم يضر كما هو الحال فى نظام الرأسمالى ولا يجعله غاية فى تحقيق المطالب الجسدية من متعة وشهوة كما هو الحال فى النظام الشيوعى ، بل ذهب الإسلام فى نفرته إلى المال حدا وسطا بين النظامين : فهو يرى أن جمع المال يجب أن يكون منزها من المكاسب المحرمة : كاكل الأموال العامة ، والغش والربا والإحتكار، وكل مايلحق الضرر بكيان الفرد ، ونظام الأخلاق ، ومصلحة الجماعة . ويرى الإسلام كذالك أن الغاية فى الحياة أجل واسمى عن أن تكون فى المتعة والشهوة ، والإنصراف الكلى إلى زهرة الحياة الدنيا وزينها. بل يرى أن هذه المتعة والطيبات حينما تكون فى حدود المباح . ودائرة الحلال تكون تقوية للإنسان على القيام بالواجب وعصمة له من يقع فى فاحشة وعندئذ يندفع بايمان راسخ ، عزيمة ماضية إلى تحقيق الغاية التى خلق من أجلها ، الا وهى عبادة الله عز وجل .

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" [59]

نحن نجد المبادئ العديدة من إنفاق المال في الإسلام. منها الأول مبدأ العدالة فى توزيع الثروات. إن الأموال التى تدخل بيت المال يجب أن تصرف على المستحقين من ذوى الفقر الحاجة . حتى يتحقق للمجتمع توازنه الإقتصادى عدالة الإجتماعية من جانب . ويقضى على الفقر والجهل والمرض والبطالة من جانب آخر.

والثاني مبدأ تأمين المرافق العامة في الإسلام. إن ما يحتاج إليه الناس حاجة ضرورية كالماء والكهرباء والمحروقات والملح وغيرها، على الدولة ان تستجيب لهذه الحاجة فى المجتمع ، وتشرف على تامينها ، إن المبرر لهذه هو لا تتحكم الفئة القليلة بمصالح الجماعة ، ولا تتضخم ثرواتها على حساب الجمهرة الكبرى من الشعب؛ وذالك بالأحتكار، والتحكم بالأسحار، واستغلال الحاجة، ولقد ذهب الرسول صـ إلى أبعد من هذا فجعل الناس شركاء فى ثلاث وذالك فى قوله : الناس شركاء فى ثلاث، الماء، والكلاء، والنار، ،الملح .

والثالث مبدأ تحديد الأسعار في الإسلام. يتواطأ بعض التجار الجشعين فيما بينهم على أن تكون الأسعار موحدة بارباح فاحشة غير معقولة لتتضخم ثرواتهم على حساب الطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال ، فهؤلاء النمط من المستغلين والجشعين يجب الا يتركوا وشأنهم ويعبثون بمقدرات الشعب، ومصالحة الجماعة، ينبغي أن يعامل بشدة ويوخذ بالقاب حتى لا تسول لهم نفوسهم أن يتحكموا فيما يحتاج إليه الناس حاجة ضرورية كالطعام والكساء، والسكون .

ففى هذه الحال من الإستغلال والتحكم بالأسعار يجب على الدولة ان تجبر هؤلاء على البيع بثمن المثل حتى يكون الثمن معتلا والرنج معقولا. وهذا ما يسمى فى عرفنا اليوم بـ "'تحديد الأسعار" وهذا أمر لا خلاف فيه العلماء. أما إذا كان التجار يبيعون

---

[59]) سورة الذاريات : ٥٦

سلعهم من غير إتكار، أو ظلم او غبن فاحش، وقد ارتع الشعر بشكله الطبعى، إما لقلة الشيئ. او كثرة الناس فهذا أمر مرده إلى الله لانه هو الرزاق ذوالقوة المتين، ففى هذه الحاجة لا يجوز التسعير ولا يصح التدخل فى رزق العباد، ومما يشهد لهطا ما رواه انس (رضـ) قال : غلا السعر على عهد رسول الله صلعم فقالوا يا رسول الله : لو سعرت فقال : إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر وانى لأرجوا أن القى الله ولا يطلبنى بمظلمة ظلمتها اياه فى او مال [60].

والرابع مبدأ الإنفاق فى سبيل الله. لا توجد شريعة من شرائع الأمم. حضت على الإنفاق فى وجوه الخير والبر، حذرت من الشح والبخل، مثل شريعة الإسلام، وذالك فى الآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية المتعددة. حتى أن المطلع على هذه النصوص يظن لاول وهلة أن المال المدخر يجب أن ينفق جميعه فى سبيل الله، ليحظى المنفق بالأجر الكبير، الثواب الجزيل عند الله. فمن هذه الآيات :

"مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبّة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا اذى، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون" [61]

نحن نذكر في مجال الذين يشملهم الإسلام نظام التكافل. إن مسؤولية التكافل تقوم على عنصرين هامين هما : الأول - مسؤلية المجتمع أفرادا وجماعات والثاني الثانى - مسؤولية الدولة.

من مسؤلية المجتمع أفرادا وجماعات هى رعاية الأطفال وحضانتهم . أوجب الأسلام على الآباء والأمهات تربية أبنائهم وإرضاعهم حضانتهم ، والنفقة عليهم بدون

---

[60]) ابو داؤود وترمذى

[61]) سورة الرقة : 261 - 162

أهمال ولا تقصير ، اما فيها يتعلق بجانب التربية فالإسلام أوجب على الأولياء مسؤولية التربية من الناحية الإيمانية ، والناحية العقلية ، والناحية الجسمية والناحية الخلقية ،والناحية النفسية ، والأصل فى ذالك قوله تعالى : "يايها الذين أمنوا قوا أنفسكم اهليكم نارا" [62]

ومنها كفالة اليتيم، اليتيم هو ممن مات أبوه وأمه صغيرا ـ وهو ضعيف يحتاج إلى رعاية وكفالة. والإسلام إهتم بشان اليتيم الإهتمام البالغ من ناحية تربيته، معاملته وضمان معيشته حتى ينشاء عضوا فى المجتمع ينهض بواجبته ـ ويقوم بمسؤوليته ويؤدى ماله وما عليه على أحسن وجه ، وأنبل معنى .

فمن اهتمام القرآن الكريم بشان اليتيم عدم قهره والعض من شانه، والحط من كرامته قال تعالى :

"فاما اليتيم فلا تقهر" [63] وقال "ارأيت الذى يكذب بالدين فذالك الذى يدع اليتيم"[64]

فلذالك رعاية اليتيم وكفالته واجبة فى الأصل على ذوى الأرحام والأقرباء ،واما الدولة فانها لا تلجأ إلى الرعاية الا عند الحاجة ، وجب على المسلمين افتتاح الدور لرعاية الأيتام ، لنشرف المؤسسات الإسلامية على تربيتهم والأنفاق عليهم ويكون ذالك أبعد لهم عن التشرد والضياع والإهمال.

رعاية اللقيط : اللقيط فى الشرع هو المولود الذى لا يعرف له اب ولا ام ، ويجب على من رآه ان يلتقطه ان علم انه يهلك ان لم يأخذ ، ولا سيما ان كان فى بئر او صحراء او مكان لا يمر به أحد ، لما فيه من السعى لاحياء نفس، واغاثة انسان، قال تعالى:

---

[62]) سورة التحريم :6

[63]) سورة الضحى : ٩

[64]) سورة الماعون :١ ـ ٢

"ومن أحياها فكانما أحياء الناس جميعا"[65] . "وفى التقاطه رحمة بالصغار، وعلامة للأيمان" [66] . رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا" [67]

اما اعاله اللقيط وكفالته فتعود على الدولة لما فعله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين جاءه رجل بلقيط فقال له : " نفقته علينا وهو حر". ومن أراد من المسلمين أن يقوم برعاية اللقيط والانفاق عليه متبرعا فله فى ذالك أجر كبير، ومثوبة عظيمة عند الله عز وجل "من يعمل مثقال ذرة خيرا يره" [68]

وقد راى الإسلام نفسية اللقيط فاعطاه الحقوق الممنوحة للولد لاشرعى دون ان يكون بينهما تميزوا تفريق، فيجب تربية اللقيط، وتعليمه القرأة، والكتابة وحرقة، وتسند إاليه الوظائل تقبل شهادته، ويعتبر مسؤولا عن جميع تصرفاته الإعمال، حتى لا يعتبر بنفسه انه همل من سقط المتاع، وحتى لا تتولد فى تصوراته مركبات النقص والعقد النفسية. بهذه المعاملة الحسنة نكون قد اعددنا مواطنا صالحا ينهض بواجبته .

الإسلام تحفّظ برعاية أصحاب العاهات وضع القوانين التكافل الإجتماعية . نجدهم كما يلي :

1. العميان
2. صعاف البصر
3. الصم والبكم
4. الصرعى

---

[65]) سورة المائدة

[66]) ابو داؤد والترمذى

[67]) روى الترمذى

[68]) سورة الزلزلة : ٧

5. المعتهون
6. العاجزون بسبب ضعف البنية او الشيخوخة
7. ذووالعيوب الكلامية كالتهتهة ونقص النطق
8. أصحاب الإمراض المزمنة التى لا يرجى شفاؤها.

هؤلاء النمط من العاجزين وأصحاب العاهات يجب ان يلقوا من الدولة وأبناء المجتمع ، وذوى اليسار والغنى كل رعاية وعطف ورحمة. تحقيقا لقوله عليه الصلوة والسلام : "الراحمون يرحمهم الرحمان، إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء" [69] وقوله : "ترى المرمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد بالسهر والحمى" [70]

و منها رعاية الشواذ والمنحرفين؛ ويطلق الشذوذ والأنحراف على من ينحرف من الأحداث والمراهقين إلى مزاولة اللواطة أو السرقة او تناول المخدرات، او القتل او إرتكاب الجرائم . و الشذوذ بهذا المعنى عيب إجتماعى خطير. ينبغى معالجته فى الأطفال قبل ان يبلغوا سن الكبير. وقبل أن تترسخ فى نفوسهم هذه الإنحرافات الخطيرة. وإن منشأ هذا الإنحراف والشذوذ يرجع عوامل هامة ، وأسباب بالغة الخطورة منها سوء التربية وإهمال الأولياء مراقبة الأنبياء. قال تعالى : "قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين" [71]

وأما انها تعود إلى المجتمع والأولياء ثانيا فلان باستطاعة أنباء المجتمع ان يتعاونوا لتكون جمعيات خيرية ، ومدارس تعليمية وتربوية تندفع من مستوى هؤلاء الشاذين من ألاحداث ، وترعى أمرهم ، وتحقق السعادة والخير لانفسهم .

---

[69]) رواه الترمذى وأبوداؤد

[70]) رواه البخارى فى الأدب المفرد

[71]) سورة الأنعام : 140

فان تم التعاون الكامل بين الدولة والمجتمع فى رعاية هؤلاء الشاذين والمنحرفين فانا على يقين أنه من يبقى فى ربوع المجتمع مراهق شاذ ، ولا شاب منحرف ، ولنعم الجميع فى رياض السلامة الخلقية وجنات الأمن والإستقرار.

ومنها رعاية المطلقات الارامل. الطلاق هو إزالة العلاقة الزوجية فى وقت تدعو الحاجة إليها، وذالك حين يتعذر التفاهم والفاق ما بين الزوجين، والطلاق ان كان مشروعا فهو عن ابغض الحلال إلى الله الطلاق؛ [72] ولما يترتب عليه من نتائج سيئة من خراب البيوت، وتشرد الأولاد، وزرع البغضاء والشحناء. والترمال هو فقدان الزوج بالوفاة ـ وهو مزيل للزوجية لانها تنقطع بالموت، والمرأة المطلقة والأرملة، لا بد لها من حماية ورعاية، لا سيما اذا كانت كل منها ضيقة اليد وذات عيال وأولاد والرعاية لها لا تقتصر على ناحية المادية بل ينبغى أن تشمل الناحية الخلقية والناحية النفسية على السواء، لتشعر بكيانها وكرامتها. ورعاية المطلقة والأرملة من الناحية المادية يجب ان تشمل شئيين : الأول ـ رعاية العدة ؛ والثانى : رعاية ما بعد العدة. أما رعاية العدة فان الإسلام أوجب للمرأة الملقة نفقة من مال الزوج وأوجب لها السكنى حتى تنتهى من عدتها ، والاصل فى وجوبها قوله تعالى .

"اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ـ ولا تضارهن لتضعفوا عليهن وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فاتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف" [73].

وأما الرعاية إلى ما بعد العدة فان أفضل الأشياء لهما هو الزواج إذا رغبتا فيه ، وجاء يخطبها لقوله تعالى :

---

[72]) رواه ابوداؤد والحاكم ابن ماجة

[73]) سورة الطلاق : أية - 6

"وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم" [74].

ومنها رعاية الشيوخ والعجزة. فالمقصود بالشيخ هومن انحدر من سن الكهولة إلى سن الشيخوخة ، وأصبح لا يستطيع الكسب ولا العمل بسبب الضعف والعجز . والمقصود بالعاجز هو من أصيب بمرض مزمن بسبب طوارئ العمل ، ولم يكن فى استطاعته والسعى ولا العمل ، فهؤلاء وأمثالهم ينبغى ان يلقوا من الدولة وأبناء المجتمع كل عطف ومحبة وتعاون وتكافل ليشعروا باخواة الإسلام ، وكرامة الإنسان ، وتوفير الراحة لهم وتأمين وسبل العيش الأفضل من أجلهم .

والإسلام بتشريعه الخالد ، ومبادئه السامية قد راعى حقوق هؤلاء . ففرض لهم رواتب كريمة من بيت المال ، يستعينون بها على تكاليف الحياة وإليكم الشواهد والأمثال .ومنها رعاية المنكوبين والمكروبين؛ لم نجد فى دين من الأديان، ولا دستور من الدساتير أمرا باغاثة المنكوب، وحثا على التفريج عن المكروب مثل الشريعة الإسلامية الغراء. وذالك فى النصوص القرآنية الخالدة والأحاديث النبوية الثابتة، والواقع التاريخى العظيم فمن هذه النصوص قوله تبارك وتعالى :

"ويؤثرون على أنفسهم ولوكان كان بهم خصاصة" [75].

"الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" [76].

---

[74]) سورة النور : آية - 32

[75]) سورة الحشر- ٩

[76]) سورة آل عمران : ١٣٥

والوسائل العملية فى تحقيق التكافل :

أن الإسلام نظامه المستقل، وتشريعه العادل فى تحقيق تكافل اجتماعى شامل، ولقد نادى الإسلام بهذه النظم، وسن تلك القوانين قبل ان يبجح الغرب او الشرق بالمبادئ التى ترحم الفقير، وتناصر الفلاح، وترفع من مستوى العامل وتحقق التكافل بين بنى الإنسان. والوسائل فى تحقيق التكافل تقوم على أمرين هامين :

1- مسؤولية المجتمع .

2 ـ مسؤولية الدولة

الدولة لا يمكن أن تقوم بواجبها فى تحقيق التكافل الإجتماعى مالم يسهم أفراد المجتمع فى بناء العدل الإجتماى والبذل والإنفاق فى سبيل الخير. وحين يتم التعاون الكامل بين الشعب والدولة ترفرف على المجتمع بشائر الخير والرفاهية، وتخيم على ربوعه ظلال السعادة والأستقرار ويمكن أن نقسم مسؤلية المجتمع فى تحقيق التكافل إلى قسمين :

(أ) قسم يطالب به على سبيل الوجوب والإلزام. (ب) وقسم يطالبون به على سبيل التطوع والإستحباب.

وأما على سبيل والوجوب والألزام ويشمل أهم الامورالتالية :

1. **فريضة الزكاة :** الزكاة هى الركن الثالث للإسلام ، اما الكتاب فقوله تعالى : "الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" [77] واما السنة فلقوله عليه الصلاة والسلام : "شهادة أن لا إله إلا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، حج البيت من استطاع إليه سبيلا" [78]

---

[77]) سورة المعراج : ٢٤ـ ٢٥

[78]) رواه البخارى ومسلم

وللدولة الإسلامية الحق أن تدى زكاة الأموال الظاهرة وتصرفها على المستحقيين واذا تساهلت فى هذا الحق فعلى الأفراد أن يخرجوا من أنفسهم ويعطوها إلى من تصرف لهم من الفقراء والمساكين وابن السبيل .

2ـ **النذور :** ومن وسائل التكافل ما ينذره المسلم من مال ونحوه يقول : "لله على ألف ليرة صدقة على الفقراء" والفاء واجب به لقوله تعالى: "وليوفوا نذورهم" [79]

3ـ **الكفارات :** ومن وسائل التكافل ما يوجبه الله على المسلم من إطعام المساكين، وتصدق على الفقراء، اذا عمل مخالفة شرعية فى صوم او حج أو يمين : "إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم او كسوتهن" [80]

4 ـ الأضاحى : قال الله تعالى : '' فصل لربك وانحر''

5 ـ صدقة الفطر: فى الحديث الصحيح : '' فرض رسول الله صلعم زكاة الفتر من رمضان : صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر ، والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين . وهى واجبة على الرجل وعلى كل من تلزمه نفقته من زوجته وولد وخادم وأبوين ، ويصح إخراج القيمة نقدا وهو الأنفع لتحقيق التكافل .

6 ـ إسعاف الجائع والمحتاج : لا يصح فى شريعة الإسلام ، ولا يجوز فى عرف الشهامة والمرؤة ان يرا المسلم قريبه او جاره ، او من يعلم جوعه وحاجته . يتلوى فىالعرى والجوع والحرمان ـ وهو من ذوى المقدرة واليسار، ولا يقدم له معونة من مال، او مساعدة من طعام او كساء. بل نجد فى نصوص الشريعة أن الذى يتأخر عن إسعاف

---

[79]) سورة الحج ،٢٩

[80]) سورة المائدة : ٨٩

المحتاج، ويتهاون باطعام الجائع يخرج حظيرة الإيمان، وصدق رسول البر والإنسانية القائل : ما آمن بى من بات شعبان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به ‘‘

واما كان على سبيل التطوع والاستحباب يشمل أهم الأمور التالية :

1ـ الوقف الذرى والخيرى :

من وسائل التكافل الوقف بنوعيه : الذرى والخيرى ، وهو من الصدقات المندوبات التى يستمر خيرها، وتجدد ثوابها، إلى ما بعد الموت. ويقصد بالوقف الذرى ما كان خيره ونتاجه خاصا بذرية المتوفى من أولاد وأقرباء، كانّ يقف لهم الواقف عقرات وبساتين يستفيدون منها بعد موته إلى ما شاء الله .

أما الوقف الخيرى فهو يشمل جميع جهات الخير ، ومواطن البر من مساجد ومدارس ودور عجزة وغيرها . والأصل فى ذالك قول الرسول صلعم : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية ، اوعلم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له. إن المرج الأخضر الذى عليه معرض دمشق الدولى الآن كان وقفا على الحيوانات العاجزة المسنة تأكل حتى تموت دون ان يضطر أصحابها لقتلها تخلصا من نفقاتها .

2.الوصية :

ومن وسائل التكافل أن يوصى المسلم قبل موته من ماله بحدود الثلث لجهات البر والخير وقد ثبتت الوصية بالقرآن والسنة :

اما القرآن فلقوله تعالى : "كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن إن ترك خيرا (الوصية) للوالدين والأقربين" [81] اما السنة فلقوله عليه الصلاة والسلام : "ما حق

---

[81]) رواه البخارى وأحمد وغيرهم

امرئ مسلم له شيئ يوصى فيه يبيت ليلتين الا وصية مكتوبة عنده" [82] ولا يصح ان يعطى من مال الوصية لقرابة الميت الوارثين لقوله صلوات الله عليه : "لا وصية لوارث" [83].

3. **الضيافة** :

من التقاليد العربية الأصلية التى امر الاسلام بها وحافظ عليها : أكرم المسلم وهو ان كان سنة عند الجمهور من الفقاء الا انه من الأعراف الإسلامية لاتى لا مناص عنها ولا يدمنها وإن كان مقصر فى أكرام الضيف ، وكل متساهل فى الحفاوة به يعد مذموما فى عرف المجتمع والأخلاق الكريمة ، لانه خالف آدب الإسلام فى الكرام الإجتماعى والحفاوة الإنسانية .

لهذا نجد ان رسول الله صلعم قد عد أكرم الضييف من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر فمما قال صلعم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفة [84].

4. **العارية** :

ومن وسائل التكافل الإنتفاع بحوائج الغير مجانا، كان يستعير الجار من جاره متاعا او دلوا او غير ذالك . ثم يرده له بعد الإنتفاع به دون مقابل وهذا ما يسمى (بالعارية) وهى من أعمال البر والخير التى تقتضى الإنسانية النبيلة.

5. **الإيثار** :

الإيثار هو تقديم الغير على حظوظ النفس الدنيوية رغبة فى الأجر والثواب ، وذالك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة والتفانى والإخلاص فى حرمة المجتمع ، وهو

---

[82]) رواه البخارى

[83]) رواه البخارى

[84]) البخارى والمسلم

من أفضل المكارم الإنسانية، ومن أنبلها خلقا وإصالة وقد أمتدح القرآن الكريم صحابة الرسول صلعم. يخلق الإيثار والمحبة وبفضيلة القاذر والتضحية، فقال عزمن قائل: "والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولائك هم المفلحون " [85]

6. الهدية والهبة :

ومن وسائل التكافل حض الإسلام على الهدية او الهبة ، وهى من العومل التى تغرس فى القلوب او اصر المحبة وتحقق فى المجتمع روابط الود والالفة ، بل هى من موارد التكافل لاتى تظهر العطية بمظهر العزة والكرامة ،فلا يخجل باخذها فقير ،لا يتحرج من تملكها محتاج لهذا نجد ان الشريعة الإسلامية أمرت بها وبينت الحكمة منها.

3. مسؤولية الدولة :

مسؤولية الدولة فى تحقيق التكافل مسؤولية شاقة وخطيرة ، فهى المسؤولة اولا وأخرا عن الطبقة الفقيرة التى لا تجد المال ، او العاجزة التى لا تستطيع العمل، او المشردة التى لا تجد المعيل ، او المعطلة التى لا تجد وسائل الكسب . فلا يصح فى دين الله ان ترتع الدولة البذخ والترف وتغدوا فى الرفاهية والنعيم . والآلاف من أبناء الشعب الجوع ، ويذلهم الفقر، ويقعدهم المرض ويخيم عليهم الجهل، ويتخبطون في البؤس والفاقة والحرمان. ولا يجوز فى شريعة الإسلام ان تنفق اموال الأمة على الكماليات والمظاهر، ويهمل الجانب الأثر ضرورة والأعظم أهمية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الامام راع ومسؤول عن رعيته" ونجد كذالك ان الرسول أخبر بان كل أمير او حاكم سيأتى يوم القيامة مقيدا باغلال لا يفكه مما هو فيه الا عدله. واذا كانت الدولة مسؤولة عن تحقيق وسائل التكافل فى المجتمع وتامينى الضمانت المعيشية للفئات الفقيرة ، فينبغى ان نحدد

---

[85]) سورة الحشر

هذه المسؤلية ونبين مراحلها. الدولة فى تكوين المجتمع الأفضل وتحقيق العيش الأرغد ، ويمكن ان نحدد هذه المسؤلية الدولة واحبين هامين هما:

1. تأمين موارد المال
2. توريع المال على المستحقين

(أ) تأمين موارد المال :

بواسطته ينعم المجتمع فى ظل العدالة الإجتماعية والعيش الهائ الكريم يمكن ان نحضر الموارد المالية التى نقوم الدولة على تحقيقها منها فى الأمور التالية :

1. جباية الزكاة :

ان الدولة حين تقوم على جباية 52 % من أموال الأغنياء فى كل عام ، وحين تأخذ من زكاة الزروع عشر المحصول فيما سقت السماء ، ونصف العشر فيما سقى بآلة فى موسم الحبنى والحصاد ، وحين تشرف على جمع زكوات الابل والبقر والغنم وبعد حولان الحول .يتأمن لديها

102

مورد ضخم وثروة طايلة لها اكبر الأثر فى محاربة الفقر ، والقضاء على العوز واستئصال جذور الفاقة والحرمان ، وقد نجحت تجربة الولة للزكاة فى العصور الإسلامية الزاهرة حتى ادى الامر انها لا تجد من يأخذ للكفاية والأغنياء قال يحيى بن سعيد .

أما فيما يتعلق بفريضة الزكاة فيجب على الدولة أن تصرفها على الأصناف المالية الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم وهم : "انما الصدقات للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها والمؤلفات قلوبهم وفى الرقاب والغارمين فى سبيل الله وبن السبيل، فريضة من الله والله عليهم حكيم" [86]

---

[86]) سورة التوبة - 6

(أ) **الفقير** :هو الذى يملك اقل من نصاب الزكاة .

(ب) **والمسكين** : هو الذى لا يملك شيئا .

(ت) **والعامل عليها** : هو الذى نصبه الحاكم لجباية الزكاة والعشور .

(ث) **والمؤلفة قلوبهم** : فهم أقسام : منهم من يعطى لما يرجى من تثبيت إيمانه ، وحسن إسلامه بالعطاء ، ومنهم من يعطى يرجى من إسلام نظرائ من الكفار ، فيكون العطاء سببا لانقاذهم من النار ، فعنه عليه الصلاة والسلام : إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى خشية ان يكبه الله على وجهه نار جهنم؛[87]

(ج) **وفى الرقاب** : وهم الرقاء الذين يتفقون مع أسيادهم على شئ من المل لهم ينعطون من الزكاة ما يساعدهم على تحريرهم من الرق .

(ح) **والغارم** : وهو الذى عليه دين استدانه لضرورة على وجه مشروع.

(خ) **وفى سبيل الله** : المراد بذالك المجاهدون لاعلاء كلمة ، فيعطون من الزكاة على قدر كفايتهم واعداد عدتهم .

(د) **وبن السبيل** : هو الغريب عن بله ، المنقفط عن ماله ، فيعطى من الزكاة يفدر حاجته . وبما ان الزكاة عبادة مالية ، فيجب ان تصرف إلى من يؤمن ويعتقد فرضيتها ، لهذا اشترط ان تعطى لهؤلاء المذكورين ان كانوا مسلمين.

---

[87]) رواه بخارى ومسلم